

سِرِّ الدِّينِ الْخَيْرُ الْخَيْرُ

مقدمة

الحمد لله الذى وعد من أطاعه بالعز والغلبة « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون، وتوعد من عصاه بالضنك والذلة .. » ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى .

والصلاة والسلام على رحمة الله للعالمين الرسول القوى الأمين، الرحيم بين المؤمنين، الشديد على الكافرين وعلى آله وصحبه ومن تابعه فواد من وآده وحاد من حاده إلى يوم الدين وبعد ..

صدق من لا ينطق عن الهوى .. « توشك أن تداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا. إنكم يومئذ كثير ولكنكم غشاء كغشاء السيل، ولينزعن الله مهابتكم من قلوب أعدائكم وليلقين فى قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت .

البوسنة .. كوسوفا .. فلسطين .. كشمير .. شينجيانغ .. الشيشان، فى كل زاوية من الأرض أرض للإسلام مستباحة ومسلمون لا ظهر لهم ولا خلافة .. والمسلمون فى بلادهم ضربهم الوهن وقعدت بهم العزائم وغُيب عنهم الإسلام فهابوا لا ينصرون ولا ينتصرون، ولا يقولون ولا يفعلون، ولا يرضون ولا يفضبون، ويُدلس عليهم فلا يعرفون الصديق من الخؤون .

أزمة كوسوفا: الصرب طردوا الألبان وهجروهم من كوسوفا وحلف شمال الأطلنطى أعادهم!

هكذا تختزل كوسوفا .. وهكذا تختزل كل بقعة مستباحة من بقاع الإسلام . فإن بلاء المسلمين الأكبر فى هذا الزمان وما نكبوا به هو أن أصبح قيادهم إلى من يحملون أسماءهم وليسوا منهم، ويتكلمون بلسانهم ويفكرون بعقول وقلوب أعداءهم . وهؤلاء هم من لا توجد قضية للإسلام إلا زيفوها وكانوا فى صف أعداءها .

ثمر المذبحة من بدايتها إلى نهايتها فلا يتذكرون الأقلام والورق إلا حين يظهر الغرب (الناتو) ليسبحوا بحمده ويشنفوا آذان شعوبهم المنكوبة بهم بشهامته ومروته وإنسانيته ثم يعطونهم خطباً فى ضرورة اتباع حضارته ومدنيته. فإذا ما تساءلت: وأين كانت هذه الإنسانية من البوسنة الشهيدة؟ بل وأين هى من فلسطين المستباحة من اليهود عملاء الغرب ليل نهار لم تجد إلا استغناءً واستحماراً!

وصنف آخر..

أولئك الذين يقفون أمام هول المشهد وأنهار دماء المسلمين المتفجرة فلا يرون فيه إلا أن الناتو يضرب يوغسلافيا البريئة التى تقوم بحماية سيادتها وتأديب الخارجين على حكومتها فانتهك الناتو بذلك الشرعية الدولية والقانون الدولى..

فإذا ما تلفت حولك رأيت هؤلاء الذين يذرفون الدموع على الشرعية الدولية والقانون الدولى فى كوسوفا هم هم الذين يهاجمون ويلقون بالمسؤولية على «الأنفصاليين» و«المتسللين» فى كشمير رغم أن الشرعية الدولية والقانون الدولى معهم وقرارات الأمم المتحدة فى صفهم! وتراهم يناصرون الهندوس عبّاد البقر وهم الذين يخرقون القانون الدولى ويدوسون الشرعية الدولية التى يتباكون عليها!

فإذا كانت الشرعية الدولية على رقاب المسلمين فمرحباً بها وأهلاً وإذا كانت لهم - ومادامت لهم فلن تنفذ - فلا أهلاً بها ولا سهلاً!

وصنف ثالث تفتح أمامه الصفحات «ليبرطع» فيها كيف يشاء فلا تجود عينه على شلالات دماء المسلمين المهذرة بدمعة ولا قلمه من الحبر بقطرة. وكان من يذبحون ويعذبون ويطرودون قطيع من الكلاب ولو كانوا قطيعاً من الكلاب لما تجاهلهم ولطلب لهم الرفق والرحمة!

وهؤلاء وأولئك هم كتابنا وصانعو عقولنا وقائدو فكرنا ومنوروننا إلا من رحم الله وعصم.. وقليل ما هم.

وتضيق كل قضايا المسلمين أمام أعين المسلمين وتنتهى أراضيهم وشعوبهم إلى عبارات جوفاء لا معنى لها تسود بها الصحائف لتزيف العقول.

ولا يعرف المسلمون من فعل بهم ما فعل، ولماذا فعل بهم ما فعل ولا كيف يتخذون

العدة لما يدبر بليل ليُفعل بمن بقى مثل ما قُعل بمن ذهب، ولا يفهمون لم ناصرهم من ادعى مناصرتهم وأكانت مناصرته لهم أم له وعليهم وعدو هو فى الحقيقة أم صديق .

ومن أسف أن كثيراً ممن يكتب عن كوسوفا وأمثالها من المخلصين الذين يؤرقهم ما يحدث للمسلمين يؤثرون الصراخ على الفهم : قتلوا المسلمين .. إنهم يقتلون المسلمين، ذبحوا المسلمين .. إنهم يذبحون المسلمين، اغتصبوا المسلمات .. إنهم يفتصبون المسلمات وتتراص الجمل والكلمات ثم تعاد وتكرر عشرات المرات وهم يظنون أنهم بصراخهم يحسنون صنعاً .

وبهذا النهج يكون أعداؤنا قد كسبونا مرتين :

مرة لأن هذه الإثارة الوقتية هى ضجة وضجيج، ونحن مهما فعلنا لن نهزمهم فى الضجيج والإثارة لأنهم يملكون من وسائلها أضعاف أضعاف ما نملكه، ومتى شاءوا وأين شاءوا سيغلب ضجيجهم ضجيجنا وإثارتهم إثارتنا . ومرة لأن الإثارة الآنية تلهى عن الحقيقة المستقرة الراسخة .. وفى كل قضية للإسلام وللمسلمين فإن مستندهم هو الحقيقة ومستند أعداءهم الضجيج والإثارة التى تضعف فى ثناياها الحقيقة ويتساوى فى تغطيتها على الحقائق الجلاد والضحية .

وكسبونا مرة ثالثة مكسباً عميقاً لأنهم أخرجونا من روح حضارتنا : الفهم والعقل والتدبر العميق للأمور لمعرفة أصولها وفروعها وكيف نشأت وإلى أين تذهب وما يترتب عليها وما ينبغى اتخاذها إزاءها فى روية وسكينة وثبات إلى روح حضارتهم الضجيج والتسطيح والإثارة لمجرد الإثارة والاستهلاك السريع لكل شئ : الماديات والوجبات والنظريات والأفكار والأخبار والمذابح والشعوب .

إذاً : نحن نفتقد من يرى الأخبار بعينى مسلم ويقراها بعقل مسلم : لا يكون بارداً متبلد الحس إزاء ما يخص الإسلام والمسلمين ولا ينحاز لصف أعدائهم ولا يرى بعينونهم ولا يتكلم بلسانهم ولا يسود الصحائف فى مدحهم والتدليس على الناس بهم .

وأيضاً لا يصرخ فى غير طائل ولا يركب موجة الإثارة التى تصاحب الحدث فى غير نفع وفى غير أوان .

ففى غير ساعة الزحف وإعداد العدة له لا فائدة من الصراخ والعويل .. والفهم أولى

لان زيادة الفهم تزيده عمقاً وتزيده رسوخاً وتزيده بقاء، وأما زيادة الإثارة فى غير أوانها فليس من وراثتها إلا فقدان الإحساس والتبلد من كثرة البلايا وتتابع المآسى واعتيادها .

بإيجاز: نحن نفتقد الكاتب المسلم الذى يرى الاخبار ويزن الاقوال ويحلل الافعال بمعتصم من الإسلام فيكون ضمير امته وبصيرتها، إذ بالإسلام وحده لن يُضلل ولن يُضل، وبه وحده يمكنه أن يفهم حقيقة ما يحدث ويفهم كويُعصم عقله من عواصف التزييف والتلفيق التى تهب من كل اتجاه وفى كل اتجاه ويعصم .

هذه محاولة لقراءة أزمة كوسوفا والتاريخ لها الخبر فيها هو البطل، والأخبار هى الاخبار والانباء هى الانباء، ولكنها الاخبار والانباء تراها عيننا مسلم ويقرأها عقل مسلم ..

والحمد لله أولاً وآخراً

د . بهاء أحمد الزهير